كتاب النخل

لابن وحشية النبطي

تحقيق الدكتور

إبراهيم السامرائي

رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب
جامعة بغداد

ترجمة المؤلف :

هو ابو بكر احمد بن علي بن المختار الكلداني او النبطي . عرف بتصانيفه الكثيرة في الكيمياء والعلوم الخفية الاخرى فقد ذكر ابن النديم « انه ساحر يعمل أعمال الطلسمات ويعمل الصنعة ... وله من الكتب في السحر والطلسمات كتاب طرد الشياطين وكتاب السحر الكبير وغيره ... وكتاب الفلاحة الكبير والصغير ... » [١] .

وقد حاول في مؤلفاته ان يثبت ان اسلافه النبطيين كانوا على جانب عظيم من العلم ... ويقال ان كثيراً من تصانيفه خصوصاً كتابه المشهور « الفلاحة النبطية » منقول عن الكتب البابلية القديمة ، وقد دافع عن هذا الرأي (شولسن Chwolsohn) في التعليقات التي نشرها (المجمع الامبراطوري ج ٨) وخالفه كل من (جتشمد Cutschmid ونولدكه Noldeké) وكذلك الحال في كتابه عن (الابجديات القديمة) الذي اذاعه لاول مرة المستشرق فون هامر » [٢] .

(١) الفهرست ص ٤٤٧ (ط مصر) ولم يذكر ابن النديم شيئا عن العصر الذي عاش فيه .

(٢) انظر دائرة المعارف الاسلامية . وقد رجعت الى كتاب « الفلاحة النبطية » تاليف عادل ابو النصر (ط بيروت ١٩٥٨) .

رسالة النخل

أغلب الظن ان هذه الرسالة جزء من كتابه المشهور « الفلاحة النبطية » وذلك لان ابن النديم وهو أقدم مصدر ترجم للمؤلف وذكر تصانيفه لم يذكر شيئاً عن هذه الرسالة ولكن الذي نعرفه ان موضوع النخل يؤلف آخر باب من أبواب الكتاب [٣] .

وقد ذكر ابن النديم كما اشرنا « كتاب الفلاحة الكبير والصغير » وأغلب الظن أنه المقصود بـ « الفلاحة النبطية » . ولعله اختصره في كتاب موجز وسماه بـ « الفلاحة الصغير » .

وكتاب « الفلاحة النبطية » من أشهر الكتب في هذا الموضوع وذلك لما له من القيمة التأريخية حيث انه من أقدم ما صنف في هذا الباب ، ولأنه يشتمل على مانقله ابن وحشية النبطي مما وجده عند الآراميين الذين ورثوا علوم الامم القديمة كالبابليين وغيرهم . ولعل هذا كان سبباً لتسمية المؤلف بـ « الكلداني » .

وقد ذهب جماعة من الباحثين الى ان « الكتاب » ليس من صنع ابن وحشية ... بل هو من متخلفات ابي طالب الزيات الذي نسبه الى الى ابن وحشية ... أي الى رجل قد مات وقت نشر التصنيف تخلصاً من ذم اخوانه المسلمين

(٣) انظر الفلاحة النبطية لعادل ابو النصر ص٢٢ .

وتبرئة لنفسه من تهمة النفاق والافتراء [٤] .

والذي يدفعنا الى القول ان رسالة « النخل » من مادة هذا الكتاب الكبير ان المؤلف ذكر في مقدمة كتاب « الفلاحة » المنوه عنه « ان الكتاب الاصلي ألفه قبله بألوف السنين حكيم بابلي اسمه « قوثامي » نقلاً عن كتب أقدم منه بكثير ... وضعها «ضغريت وتبيوشاد ...» وان ابن وحشية ترجمه من لسان الكسدانيين [٥] أو النبطية « والمراد اللغة البابلية القديمة » الى العربية عام ٢٩١ هـ ــ ٩٠٣ م [٦] وأملاه عام ٣١٨ هـ على تلميذه ابي طالب احمد بن الحسين بن علي بن احمد الزيات .

وقال ابن خلدون في مقدمته « وترجم من كتب اليونانيين كتاب « الفلاحة النبطية » منسوبة لعلماء النبط مشتملة من ذلك على علم كبير » [٧] .

وفي رسالة النخل نقول عن هؤلاء اليونانيين مما يؤيد انها من مادة هذا الكتاب الكبير . وفي الكتاب مادة علمية وفيرة تتصل بالفلاحة والنبات . غير أنه لا يخلو من ذكر الخرافات والأباطيل . ولعل من الطبيعي وجود هذه الترهات في الكتب العلمية القديمة التي كتبها المتقدمون في تلك الحقب الخوالي الذين لم ينالوا من البحث العلمي التجريبي ما هو معروف في عصرنا هذا . وهذا يؤيد نسبة رسالة « النخل » التي ننشرها اليوم الى ابن وحشية فهي مع خلوصها لهذه المادة العلمية لم تنج من هذا الأسلوب الذي يجمع بين العلم الصحيح والأباطيل التي لا تتفق هي والنظر الصحيح .

والرسالة التي ننشرها اليوم بخط العلامة السيد محمود شكري الآلوسي والمحفوظة في خزانة معهد الدراسات الاسلامية برقم ٨٣ منقولة عن النسخة الخطية الوحيدة المحفوظة في خزانة المدينة والمكتوبة في الثاني عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ثلثمائة واربع وعشرين للهجرة . وقد انتسخ الاب انستاس ماري الكرملي لنفسه نسخة عنها محفوظة في خزانة المعهد المذكور برقم ٨٧ وكلاهما مما اقتناه المعهد من مخطوطات السيد ميخائيل عواد . ونسخة السيد الآلوسي بخط نسخ بالغ الجودة وتقع في خمس ورقات مقاسها ٢٠ سم × ١٣٫٥ وفي كل صفحة ١٨ سطراً .

وقد وجدت من الخير ان أضع هذه الرسالة مطبوعة بين يدي القراء لتكون مادة مفيدة يرجع اليها الباحثون في استقصاء التاريخ العلمي والتصنيف في العلوم في هذه الحقبة المتقدمة .

ومن الله التوفيق .

---

(٤) انظر الكتاب نفسه ص ٦ .
(٥) لعل المراد الكلدانيين .
(٦) كتاب سفينة الراغب ص ٦٧١ .
(٧) مقدمة ابن خلدون ص ٤٣١ من طبعة بيروت .

كتاب النخل

النخل أنواع عديدة تكاد لا تحصى لكثرتها وأختلاف ضروبها بأختلاف البلاد واهويتها • واسماؤها تختلف باختلاف ألوانها وأشكالها• ومن النخل ما ينبت من نفسه وهو البريّ ، ومنه ما يجاور الماء فهو العُبري • ومن انواع التمر العجو والشهريز والشيصاء • وهذه أدون التمر كلها •

وقد قال الحجاج ـ رحمه الله ـ ناقلاً قول ليونطينس : ان من أراد غرس النخلة عليه ان يحفر حفرة عمقها ذراعان ، ويكون عرضها بقدر عمقها ، وبعد أن تتخذ الحفرة تملأ تراباً طيباً حراً مخلوطاً بسماد ، ويكون في الحفرة مكان فارغ بقدر نصف ذراع • وتوضع النواة في الوسط على عرضها لا على طولها ، لئلا يتأخر نبتها وتخرج عوجاء قميئة، ثم تغطى بتراب حرّ طيب متخلخل، وفيه سماد وملح من ملح البحر لا من ملح النابت في الارض ، ويكون من ذلك كله بقدر ما يملأ المكان الفارغ الذي جعل لهذه الغاية • ثم يغطي الكل بعساليج يابسة وتسقى كل يوم الى ان ينبت، فاذا نبتت تنقل الى مكان آخر ملح وقد يكون هذا المكان الموطن الذي تبقى فيه الى ان تموت • ومنهم من يجعلها في أرض غير ملحة الا انه يضع في تلك الارض ملحاً بحرياً بقدر الحاجة اليه • وفي كل سنة يحفر حواليها فتوسع الحفرة لكي يتيسر للعروق ان تمتد فيها بلا عناء فيبكر اتاؤها ويضخم تمرها ويغزر ويحسن ويخشن ويزداد حلاوة ويكون علكاً ، وكلما وسعت الحفرة زدت فيها ملحاً بحرياً واذا منعته عنها جاء تمرها قليل الحلاوة ، صغير الحجم قليل الاتاء متخلخل اللحم وكانت النخلة قصيرة العمر •

أما ديمقريطس فيذهب الى أن الحفرة اذا كانت عمق ذراع واحدة كفى ذلك ثم تملأ تراباً حرّاً وسماداً ثم تؤخذ النواة وتعلق وتلقى في الحفرة بحيث يلامس التراب فلق النواة • فاذا فعل العامل ذلك ألقى عليها تراباً حراً وسماداً بعد أن يكون خلطه بملح بحري فاذا تمّ له ذلك يتعهدها بالسقي كلّ يوم الى أن تنبت • فاذا نبتت نقلها صاحبها الى مكان آخر لتبقى فيه •

أما الآخرون فيبقونها في موطنها • وهؤلاء يفعلون هذا الفعل لانهم حفروا الحفرة بعيدة عن صاحبتها نحو باعين أو أكثر • فلا حاجة بعد هذا الى نقلها أو تحويلها • الا ان الطريقة الاولى أحسن ، ولاسيما اذا حولها من موطنها وهي صغيرة ، ويجب على من لم يحولها ان يتعهد الحفر حواليها في كل سنة وبذر الملح في ما يحفره للغاية التي ذكرناها •

قال ابن الحجاج : رأيت في العراق أناساً يغرسون النخل ولا يضعون ملحاً في الحفرة التي حفروها لهذه الغاية ، ورأيت آخرين يزرعون النوى ولا يفلقونه • وعندي ان هذا العلم أحسن لان العراقيين جميعهم لا يفلقونه البتة ومع ذلك

ترى نخلهم زكيا لذيذ التمر . علما ان المعتنين بزرع النوى أو غرس الفسيل يقولون : ان السبخة أوفق لزكاء النخل ، والا فيعوّض بوضع الملح في تلك الارض .

قال ضغريث : يحسن بالغارس أن يتصف بهذه الخلال وهي أن يكون بلغمي المزاج ومن عشاق البدر ، تام الجسم لا عيب فيه ولا تشويه ولا يجوز له أن يغرس الفسيلة في اليوم الثاني من الهلال . ويجب ان يكون فرحا هاشا باشا ضحوكا أو مبتسما وان لا يكره على الغرس بل يتوخاه بطيبة خاطر وان لا يكون به بخر او حزن فقد رأينا الذين هذه الوصايا جاءهم النخل خبيثا معرضا لانواع العاهات لا تلقح أنثاه الا نادرا واما محاله فيكون قليل الابر .

واذا زرع نوى كثير من نخلة واحدة جاءت كل نواة بنخلة غير نخلة اختها وهذه من صفات هذا الخلق من النبات لان الله باركه وخلق آدم من طينته وقد يكون بين تلك النخيل الشيص والشهريز[1] ولا عجب فليس الخلق كله على غرار واحد ، عاقلا كان أو غير عاقل ، حيا كان أو جامدا . ومن غريب الامر انك اذا زرعت من نوى هذه النخيل المختلفة عن أمها زرعا جديدا عاد هذا الجديد الى أمه الاولى ، فسبحان ما خلق وفرق .

أما الفسيل فتمره يكون من جنس تمر النخلة الام التي نزعت من جوارها وكذا يكون جمارها وسعفها وسلاؤها بلا فرق يذكر . وقد يؤكل الجمار حتى انك لتتوهم انك تأكل خبزا غضا خرج من التنور . والتلقيح يتيسر لك على هذا الاسلوب : انك تأخذ طلع الفحال وتيبسه في مكان حار لا تلعب فيه الريح حتى لا يتطاير ما فيه من الدقيق فاذا فعلت ذلك اذخرت ذلك الفحال للقابل ، على انك لا تبيته الا من بعد أن تكون قد شققت القيقاءة[2] وفسخت الشماريخ تتفا تتفا .

وبعضهم يتخذ من الجمار خبزا شهيا فانهم يأخذون الجمار الغض وييبسونه في الشمس بعد أن يفلق فلقا فلقا ، وبعد أن يشرر وييبس يطحن في رحى حسنة فاذا صار دقيقا يخلط بدقيق الحنطة أو الشعير ويعجن فاذا عجن يترك مدة طويلة ولا يعجن الا بالماء الحار وكثير من الملح ثم يخبز في التنور بعد أن يكون قد اختمر ومن الناس من يعجنه مرتين أو ثلاثا ويجعل فيه ملحا في كل مرة وجمار كل نخلة يوافق لاتخاذ الدقيق من جماره .

ويقول كثيرون : ان النخيل تنبت في الرمال وفي السهول على السواء لكنها تحب السبخة أكثر واحسن طريقة لتعديد انواعه ان يزرع النوى . واحسن وسيلة لتبكير حمله ان يقلع فسيلا من حوالي النخلة الام . وقد حاول بعضهم غرس السعف او غرس نصف الفسيلة فلم يفلحوا اذ ييس الكل بعد أيام قليلة . وزرع النوى يكون بعد اختيار احسنه ومن ازكى النخل،وبعد النبت ينقل من أرض الى أرض أحسن حتى يتأصل ويتوشح ولا يتأثل الا في حفرة واسعة عمقها ذراعان في سعة ذراعين وأن يوضع فيها السرقين من الغائط وتراب حر .

وقال قسطس : واذا خلطت بذلك كله البعر والخث* كان اصلح للغرس ويرى ابن فاضل : انه لو خلط في زبيلين سمادا أربعة أرطال ملحا راع الاتاء وزكا . ولا تبذر النواة الا من بعد أن تهيأ الارض على الوجه الذي ذكرناه فتلقى في وسط الحفرة على عرضها لا قائمة على طرفها . ويحسن أن يكون القطمير وهو سرة النواة متجهة الى الاعلى ويكون النقير الى الاسفل ثم تغطى بذاك الخليط ما يكون ثخنه بقدر اصبعين ويكون هذا البذر في آذار او نيسان . أما ابن فاضل فيرى ان يكون البذر على هذا الوجه في شهر كانون الثاني. وبعد ذلك تسقى النواة مرتين في الاسبوع . واعلم انك اذا وضعت النواة ونقيرها متجة الى الاعلى لم تنبت .

ويزعم مقاريوس : انك اذا اردت بذر نواة

---

(1) بالشين وبالسين ضرب من التمر ، معرب . انظر اللسان .

(2) والقيقاة والقيقاية وعاء الطلع .

(*) لعله الخثي

عمدت اولا الى فلقها ثم تضع الفلق الواحد بحيث يكون الجانب المفلوق ملصقا بالارض وان يوجه طرفها الدقيق نحو مطلع الشمس . ويرى آخرون أن أحسن وسيلة لانبات النواة أن تؤخذ وهي غير صلبة ويكشط عنها فتيلها من جهة سرتها ويبقى فتيلها من جانب نقيرها ثم تلقى في الارض على الوجه الذي مر بك وصفه .

ويقول آخرون : ان هناك طريقة تفضل على جميع الطرائق وهي أن يؤخذ النوى الصلب الناضج وينقع في الماء مدة خمسة أيام أو أكثر ثم يلقى في الارض المسمدة على ما ذكر فويق هذا بشرط ان يكون ظهر النواة متجها الى أعلى وبطنها الى أسفل ، فاذا تم ذلك من كل الوجوه عاطت النخلة وضخمت وامتدت عروقها في الارض وزكا تمرها واشتد سعفها .

وقال آخرون : اذا أردت أن تحصل على نخل فحل جعلت القطمير وهو سرة التمرة متجها الى أسفل .

وقال الحجاج الغرناطي : ان الفسيلة تجعل بعد قلعها في حفرة عمقها لا أقل من شبرين ثم يلقى عليها سرجين مخلوط بتراب حر وملح بحري ثم تسقى مرة في كل أربعة ايام الى أن يمر عليها شهر . وفي كل اسبوعين من الشهر المذكور تروى ماء قد جعل فيه ملح ويلقى عند أسفل الفسيلة ، واذا تم الشهر تسقى مرة كل أسبوع الى نهاية فصل الربيع ، فاذا فعلت ذلك أبكرت النخلة واتتك بتمر حسن .

قال الحجاج الغرناطي : وقد رأيت كل ذلك بعيني في فسيلة عولجت هذه المعالجة . ولا فرق بين أن تكون الفسيلة من النخلة الفلانية او النخلة الفلانية .

وذهب كثيرون الى أن النخلة تكتفي بالملح مرة في السنة ولا يزاد على هذا القدر . واذا سمدت بثفل الخمر كان هذا السماد لها أحسن من سواه .

ومن الناس من يقول : ان النخلة تحب المواد الحامضة وان تسقى ماء ملحا مرة أو مرتين في الحول الى أن تأتي بالتمر فيعدل عن هذا النوع من السقي . أما اذا كانت الارض ملحة فلا حاجة الى اروائها الماء المذكور . وقد قيل : ان الفسيلة التي تسقى ماء فيه ملح ذرء انيّ يبكر اتاؤها ويحسن تمرها ويحلو ويزكو وينضج نيل غيره . ولا تكرب النخلة الا في اعتدال الربيع ولا يقطع منها الا السعف اليابس . واياك ان تقطع السعف الاخضر . وكذلك يمتنع عن نزع السلاء أو خرطه من السعف الاخضر فأن ذلك يضر النخلة أشد الضرر . وأغلب المعتنين بغرس النخل يقولون : أحسن وقت السعف او التكريب هو شهر آذار ولا سيما منتصفه . وان لا تقدم هذه المدة ولا تؤخر .

وقال ابو الخير : اني أدلك على وسيلة تجعل تمرك حلوا لذيذا ليس فيه شيء من البشاعة او الحموضة على ما يرى في تمر نخيل الاندلس وبعض ديار المغرب . يؤخذ البلح قبل أن يصير تمرا ويغلى في ماء عذب محلى الى ان تزول منه البشاعة ثم يلقى الماء ويؤخذ التمر وينشف بعد ان تزول منه الرطوبة فاذا فعلت ذلك حلت التمرة .

واذا اردت التلقيح عمدت الى شمراخ من الفحال في وقت ازدهاره وأثبته في قلب طلعة الانثى فاذا تم الوقت نضج التمر على أحسن ما يرام وزكا وطاب .

قال المؤلف : وقد ألقحت نخلا في جبل أشرف بفحال بريّ في حين الالقاح وذررت من دقيقه على الانثى فكان التمر من أحسن ما يكون. هذا ما فعلته في سنة واحدة . واذا أريد ان ينضج التمر في كل سنة فيجب ان يعاد التلقيح في كل عام والا شاحت النخلة في الحول الذي لا تلقح . فالنخلة تلقح في كل سنة كما يلقح التين في كل عام.

ويروى عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ انه أحضر يوما بتمرة فقال له ابو عبدالله : ما الدواء الذي تعالج به النفس حتى ان الله عز وجل أطعم مريم ــ عليها السلام ــ رطبا جنيا . فقال النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ : من أكل سبع عجوات قبل النوم قتل الدود الذي في بطنه لان

العجوة من الجنة • وأول من عني بغرس النخلة كان شيث بن آدم ــ عليه السلام ــ • والنخلة شجرة مباركة لا تنبت الا في بلاد المسلمين • قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أكرموا عمتكم النخلة، وانما سماها عمتنا لانها خلقت من فضلة طينة آدم ــ عليه السلام ــ وانها تشبه الانسان من حيث استقامة قدها وطولها وامتياز فحالها عن اناثها واختصاصها باللقاح الظاهر للعيان ولو قطع رأسها هلكت ، ولطلعها رائحة المني ولها غلاف كالمشيمة التي يكون فيها الولد • والجمار الذي في رأسها لو أصابه آفة هلكت النخلة لا محالة فهو بمنزلة المخ من الانسان اذا أصابته آفة • ولو قطع منها سعفة لا يرجع بدلها فهي كعضو الانسان وعليها ليف يشبه الشعر الذي في الانسان •

واذا لم يثمر شيء من النخلة يأخذ الرجل فأسا ويقرب منها ويقول لصاحبه الذي يكون معه: اني اريد قطع هذه الشجرة لانها لا تثمر • فيقول صاحبه : دعها وشأنها هذه السنة ولا تمسها بأذى فانها تثمر من قابل • فيقول الرجل : انها لا تنفعنا في شيء ويضربها ضربات بفأسه يقطع بها سعفات كثيرة حتى يصل الى ما يقرب من قلبها ، فيمسكه حينئذ صاحبه بيده ويقول له : لا تفعل فانها شجرة طيبة نافعة مثمرة لا محالة واصبر عليها هذه السنة فان لم تثمر فاصنع بها ما شئت قلنا : فاذا فعل ذلك فان النخلة تثمر ثمرا كثيرا • وكذلك غير النخل من الاشجار فانها ان قلمت كثيرا حتى وصلت في عملك الى نحو قلبها أثمرت في غالب الاحيان •

واذا قاربت بين ذكران النخل واناثها كثر حملها لانها تستأنس بالمجاورة واذا قطع آلفها من الذكران فلاتحمل شيئاحزناعلى فراق الفها • واذاغرست الذكران وسط الاناث فهبت الريح شمت الاناث رائحة الفحال وربما نالها شيء من لقاحها فحملت من تلك الرائحة كل انثى حولها • ومنه قوله تعالى: « وارسلنا الرياح لواقح » •

وان اتخذت لنخلتك منطقة من الاسرب[٣] كثر تمرها ولم يسقط منه شيء • وكذلك لو اتخذت لها اوتادا من خشب البلوط ودققتها في الارض نطاقا حولها • وان أحرق خشبها لا يكون منه فحم ، واذا وضع السقف على جذعه ينكس فأن فلقته نصفين وجعلت ظهر أحدهما الى الآخر يبقى زمنا طويلا •

روى ابو هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : العجوة من الجنة وهي شفاء من السم والبثور •

وأما الرطب فأنه أنفع شيء للنفساء وهو أحسن دوائها ، وكانت الاكاسرة في أوان الرطب يرفعون من سماطهم الحلوى ، وفي اباذ يستغنون عن المشموم ، وفي ايام البطيخ يتناسون الاشنان • والرطب يلين الطبيعة ويزيد في المني ومع الخيار والخس أنفع وأفيد • نقله الفقير اليه تعالى محمود شكري الآلوسي عن النسخة ــ الخطية المحفوظة في خزانة المدينة والمكتوبة في ١٢ جمادي الآخرة سنة ٣٢٤ من هجرة خاتم الانبياء ــ صلوات الله عليه وعلى آله والف سلام ــ •

---

(٣) جاء في اللسان : ان « الأسرب » الرصاص أعجمي •